صدى الحرية

أسبوعية ثورية اجتماعية
توعوية منوعة

للتواصل وإرسال المشاركات :

Facebook / SadaALhoryeh ** freequd@gmail.com

فريق QMT قدسيا الإعلامي

صدى الحرية | العدد | 92 | الجمعة | 26 | كانون الأول | 2014

ماذا جنينا في عام؟

خطورة إعادة إنتاج .

حـــق لا يموت

قراءات في الفكر

نهاية الحرب في سوريا

أنا... النافية للضمير

ماذا جنينا في عام؟

الشعور بالمشكلة هو نصف الطريق الموصل إلى حلها، ولن نشعر بالمشكلة إذا لم تطبق الأزمة علينا من كل أطرافها، ومع ما تحمله الأفئدة من إيمانٍ ومخافةٍ لله تعالى تتهيأ العقول والنفوس وتتوثب الأفكار نحو تحطيم طوق الاستسلام والركود الذي أصاب الحراك الثوري السلمي في مدينتنا قدسيا.

الفترة الماضية اصطبغت بالتجاوزات، التي شتت أنظارنا عن الهدف الأساسي وأدخلتنا في دوامة على حساب الثورة كما أسلفت، فانشغلنا بالهموم الاجتماعية والمشاكل المعيشية وشكوى الناس عن ثورتنا، وبقينا ندور في ذات الدائرة، محاصرين إما بتجاذبات داخلية بعيدة عن الرؤية والهدف الأول "إسقاط النظام"، وإما في محاولة الحصول على مكتسبات وهمية على الأرض، لتظل البنية والهيكلية السياسية والعسكرية إما غائبة أو مجرد صورة، نعترف بأن الظروف المحيطة لم تساندنا.

قراءة الواقع والوقوف على دقائقه بموضوعية وصدق يوجب علينا الاعتراف بتقصيرنا، مع ما أصاب البعض منا من رغبة جامحة في محاولة كسر قيود الجمود، لكنها تظل محاولات فردية، وإن كانت العزيمة صادقة، فنحن حتى اليوم لم نصل بعد إلى تلك النقطة التي نمتلك فيها زمام المبادرة.

النتيجة خلال هذا العام كانت مؤلمة إنسانياً وثورياً، فقدنا فيها خيرة الشباب في المدينة، وتوالت بعدها سلوكيات غريبة ممجوجة.

بين الثورة والواقع الاجتماعي الفاسد كما يحلو للبعض توصيفه لم نستطع إيجاد آلية للموازنة في مسيرتنا وتصحيح الأخطاء، علاوةً على محاسبة المخطئ، ولعل السبب طبيعة المنطقة، وظلت الصيحة حبراً على ورق في المطالبة ضمن عمل مؤسساتي فعال.

عسكرياً، لم نكن كما النظام في أحسن حالاتنا إلا ما قدمناه من صمود على مستوى جبهتي جوبر وداريا، ولعل أبرز الأحداث انتصار في وادي الضيف ومعسكر الحامدية، كرٌ وفر كما تعلمنا في المصطلح العسكري.

سياسياً، فشل الائتلاف وتحوله إلى "مجرد فقاعة إعلامية"، نتيجة غيابه عن المشهد ناهيكم عن دوره على كافة الأصعدة.

يبدو أن في داخلنا كمٌ من المرارة، وحواجز غير تلك التي جثمت في طرقات البلاد، إنها حالةٌ نفسية واجتماعية، فكرية وثورية، أفرزت الخوف، وحصرتنا ضمن مربعه، فبين الخوف على أرواح المدنيين أوقات الحصار، والخوف من الخذلان، انكشفت نقطة ضعفنا أمام عدونا، ولم نرقى لتلافي ذلك، على الأقل كما حدث في "وادي بردى" التي ذكرتنا ب"بدر" ونتائجها فكانت نقطة قوة استفاد منها المجاهدون، وغابت عنا مثيلاتها.

لم نفقد بعد البوصلة، لكن الانحراف عن الصواب أمرٌ واقع، ينبغي إيجاد مخرج بتكاتف جميع القوى الثورية في الداخل، بل حتى توحيد بعض جبهات القتل عن أمكن، بحسب الإمكانية المتاحة لا بحسب أهوائنا، والعودة إلى العمل السلمي كجزء من تشتيت النظام، وجزء من معركتنا.

حال الناس المتردي ينذر بمزيد من الألم، بردٌ قارس، وكهرباء غائبة، وقود التدفئة نادر أو غير متوفر، والاعتماد على الأخشاب تلك الظاهرة التي زادت عن حدها، وتناولناها بكثير من النقد بلا فائدة.

باب الأمل موجودٌ بكل الأحوال تحمله لنا آيات القرآن الكريم:

﴿ لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾.

حقٌّ لا يموت

لم أظنّ يوماً أنَّ المجتمع السوريَّ وصلَ إلى حدٍّ مِنَ الهشاشة على الصورة التي وصل إليها الآن، ما السبَّبُ الذي جعل هذا المجتمع قائماً على هذه الأنانية البشعة في كلِّ شيء، أهُوَ النظام السياسيُّ الذي رسَّخ في المجتمع الفساد عبر أربعين سنة، ثم تركَ الناس يأكل فيهم القويُّ الضَّعيفَ، وكَمْ سَمِعْنا قبلَ قيامِ الثورة قولَ الظَّالِمِ للمظلوم ((أخـي رُوْح اشـتكي وحُـطْ راسَـك مَحَـلْ مـا بـتحط رجليك)) وهكذا حتَّى اسْتَمرَأَ النَّاس ظُلْمَ بَعْضِهِمْ بعضاً، مثلما استمرأ النِّظامُ الأسديُّ الحاكمُ ظُلْمَهُ للجميع، أَمْ أنَّ سببَ ذلك التردِّي الاجتماعيِّ هُوَ غيابُ الوازع الدِّينِيِّ الذي يرجع إلى انشغالِ مشايخِ الوَجَاهَـةِ الاجتماعيَّـة بِحَشْدِ المرِيْدِينَ مِنْ حولهم حتَّى بات كلُّ واحدٍ منهم يُفاخر غيرَهُ من الشيوخ بكثرة مُرِيْدِيْهِ وتزايد عَدَدِهِمْ، وهكذا صارت المؤسسة الدينيَّة قوَّةً طاغيةً ومسيطرةً لا تقلُّ في السُّوء عن طغيان المؤسسة السياسيَّة نفسها إن لم تكن شريكةً معه، وباتَ الشُّيوخ الربَّانيُّون الصَّادقون في السجون أو مُهَجَّرين أو يجلسون في بيوتهم مهمَّشين مع أنَّهم ممَّن كانوا وما زالوا يشهدون الصَّلوات في المساجد منذ نعومة أظفارهم حتى شاخوا وشابوا في عبادة الله في المساجد، ومن ناحية أخرى بات الذي يسيطر على المشهد السِّياسيّ السُّوريّ والمشهد التَّعليميّ في سورية هُمْ أزلامُ النظام في المدارس والجامعات في ظلِّ تهجيرٍ أو قَتْلٍ أو سَجْنِ المثقَّفين الذين انتصفوا للحقِّ، فصار واجباً على النظام السياسي مطاردتهم أو التخلص منهم.

نعم هذه حال المجتمع السوري الهشّ، ومهما كانت الأسباب الكامنة وراء هشاشته وسقوطه في مستنقع اللامبالاة ومستنقع الأنانية وحب الذات وتقديس (الأنا) فما كان لهذا المجتمع أن يبدو كذلك، ومنذ الأيام الأولى للثورة السوريَّة كان أشدَّ ما أصابنا بالحزن أن نجد أُناساً يأكلون ويشربون وينعمون برغدِ العيشِ غير عابئين بما يجري حولهم، كانوا يتابعون ما يجري في المحافظات الثائرة أو البلدات السورية الثائرة عبر شاشات التلفاز وهم على موائد الولائم العامرة، وكان من الشعب المظلوم من هو صامت خوفاً، وكان من هو ثائرٌ جهاراً ، وكان من يظنُّ أنَّه بمنأى عما يجري، كانت تلك الحقيقة مُرَّةً لدرجةٍ جعلتْنِي أقول في نفسي ((حَسْبُنَا الله .. ناس نايمة وناس قيامتها قايمة)) وما زلْتُ أذكرُ هذه الكلمة حتى الآن، وما زالَتْ آثارُها قائمةً في المجتمع السوري حتى الآن، وحين جاءَتْ إلى سورية صحَفيَّة من إحدى المدن الغربيَّة وزارَتْ دمشق في السَّنة الأُولى من الثَّورة ثمَّ عادت إلى بلادها لتكتبَ في الصُّحُف قائلة: "النَّاس يرتادون المقاهي، وعلى مسافة قريبة يُقْتَلُون" كانت تلك الصحَفيَّة تقصد ما يجري في جوبر ودوما والمعضمية وداريا من قَنْصِ قوَّات النِّظام للمتظاهرين السِّلميّين، وَقْتَها لم تكن الثورة السورية مسلَّحةً، وكان يكفي أن نخرج جميعاً على قلب رجل واحدٍ ضد النظام، ولو كنَّا فَعَلْنا لَمَا وصلنا إلى ما وصلنا إليه الآن، واليوم باتَ جميع الشعب السوري غارقاً في سفينة الوطن، الصَّامتُ عن الظُّلم، والمسْتَنْكِرُ للظُّلم، والذي كان يقول: ((لا علاقة لنا بما يجري)). وَحْدَهُمْ الانتهازيُّون والجشعون والذين جمعوا الثروةَ من تجارة الحرام هُمْ الذين غنموا، لكنهم غنموا وَسَخَ الدُّنيا وقذارتها، وغنموا اللعنةَ من الله إلى يوم يُبعثون، بما تاجروا ونافقوا وجمعوه بغير حق، أمَّا نحن فما خَرَجْنا في الثورة لنكون تجَّارها، ولا خَرَجْنا في الثورة لنربحَ منها، بل خَرَجْنا فيها نُصرةً للمظلومين وإيماناً بحق الثَّورة، ومَنْ خَرَجَ في هذه الثورة للوجاهةِ والثَّروةِ هو كالواقعِ في عِرْضِهِ، وما كان ينبغي لأحدٍ أن يدَّعي أنَّه عمود هذه الثورة الذي لولا عنترياتِهِ الفارغةِ لانكسرَ عمودُها. ثورتُنا ثورة فقراء ومظلومين، وليست ثورة تجَّار ومتربِّحين، ثورة خرجت للقضاء على الفساد ولم تَقُمْ لتأسيسِ فسادٍ جديدٍ في ظل غياب دولة النظام الفاسد أصلاً، هذه هي كلمتي، إنْ هيَ إلا كلمة حقّ، سمعَها مَنْ سَمِعَ، ورضيَ عنها من رَضِيَ، وسخطَ عليها مَنْ سَخِطَ، نَعَمْ منَّا الثوَّار الصادقون، وفينا الدخلاء الانتهازيُّون المنافقون، وما كان منافقو المدينة المنوَّرةِ شرًّا على الإسلام، بل كانوا شرًّا على أنفسهم، والله وَحْدَهُ مُطَّلِعٌ على ما تخفيه السَّرائرُ التي في الصُّدور، ومَنْ ظنَّ أنَّه بنفاقه أو بتخاذله أو بعمالته أو بخيانته سيكون خنجراً في خاصرة الثورة فسأقول له: الفعل الخسيس يَلْحَقُ وحده بصاحبه فَيَشِيْنُه، أمَّا نحن فأصحابُ حقٍّ لا يموت..

﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴾.

نهاية الحرب السورية

لم يعد هناك متسع ربما للسؤال عما يريده السوريون، أو ما سينجزونه، نظامًا أو معارضة.

خرج الأمر منذ وقت طويل من أيديهم، ولم يعد الأمر متعلقًا بإراداتهم، أو تفضيلاتهم، أو حتى قدراتهم السياسية والعسكرية، فالمعارضة السياسية حُوصرت بسبب أداءها الضعيف والمشتت، وقد استنفدت صراعاتها الداخلية والفئوية، وتدخلات الدول الراعية و"الصديقة" ما كان مؤملًا أن تحوزه من مكانة ودور يؤهلها لتمثيل ثورة شعبية، فتوظف مكاسبها ومنجزاتها في مخرجات سياسية تحقق تطلعات السوريين، أما على الصعيد العسكري فقد أدى غياب القيادة الموحدة، وضعف التخطيط والتنسيق، ومنع تزويدها بالسلاح النوعي والذخيرة الكافية إلى عزل قواتها في جزر منفصلة، وجاء تقدم "داعش" وسيطرتها على مناطق المعارضة منذ نهايات العام الماضي ليزيد وضعها سوءًا، وبكل الأحوال لم يكن أمر المعارضة يومًا راجعًا لها، ولم تستطع الحفاظ على وحدتها أو استقلال قرارها.

النظام من جهته، ومنذ اليوم الأول للثورة حصر نفسه في زاوية الخيار الأمني-العسكري، الذي سرعان ما قاده في طريق إجباري وحيد الاتجاه، وقد تولى حلفاؤه في طهران وموسكو تشجيعه ودعمه، وإزالة كل العقبات والحواجز التي كانت تعترض طريقه الأحادي ذاك، ومع مرور الوقت، وتحت تأثير الخسائر، التي أدت إلى تخلل أركانه وبناه، ومع اعتماده المطلق في المرحلة الأخيرة على الدعم العسكري، والاقتصادي الأجنبي، خرج زمام الأمر من يده، وأصبحت الكلمة الفصل في كل ما يتعلق به، عائدةً إلى كل من المرشد الإيراني "خامنئي"، والرئيس الروسي "بوتين."

ما تريده إيران من سوريا والمنطقة عمومًا لم يعد خافيًا على أحد، لكن السؤال الآن هو ما الذي تريده روسيا؟ وما هو السبب الكامن خلف الكلام عن مبادرة سياسية جديدة تحت عنوان "جنيف 3"، أو "موسكو 1"؟

ما تسرب إلى الآن عن مضمون الحل الروسي المقترح يبدو في مجمله تكرارًا لمبادرات سابقة، وربما قديمة حتى، ويُقال إن الروس تبنوا مضمون مبادرة تركية-قطرية، قُدمت للنظام في المراحل الأولى من عمر الثورة عام 2011، وكانت تقضي بإشراك المعارضة مع النظام في حكومة وحدة وطنية، بعد أن يتخلى "بشار الأسد" عن بعض صلاحياته، وقد قيل في ذلك الوقت أن رئيس النظام قد قبل تلك المقترحات، وكلف نائبه السابق "فاروق الشرع" لإجراء حوار سياسي مع المعارضة، لكن تدخل إيران لديه وإقناعه بعدم تقديم أي تنازل، وإلا سينتهي مصيره كـ"بن علي" و"مبارك"، (وإن كنا نعتقد أن موافقة الأسد على تلك المبادرة، فيما لو صح النقل، لم تعد كونها نوعًا من المناورة السياسية لشراء الوقت، واستكشاف الممكن والمتاح)، أدى إلى تراجعه عن موافقته السابقة، ودفعه تشجيع الإيرانيين للتشبث بمواقفه والإيغال أكثر في خياره الأمني.

بعد مرور أكثر من ثلاثة أعوام على انطلاق الثورة، وأكثر من عامين على بداية الحرب، لا زالت إيران تعتقد أن بإمكان حليفها في دمشق -بمساعدتها طبعًا- سحق الثورة، والعودة بالأوضاع إلى الحال الذي كانت عليه قبل تاريخ 15/3/2011؛ ولذلك فهي ترى أنه لا قيمة للكلام عن حل أو مخرج سياسي، لأنه من قبيل التنازل غير المطلوب، أما النظام من جهته فإنه يدرك أنه غير مستعد، ولا مؤهل لتقديم أي من نوع من التنازل الحقيقي، ذلك أن تركيبته وآليات عملِه، لا تحتمل حصول أي نوع من التغيير، فسرعان ما سيبدأ انهياره التدريجي لحظة حصول ذلك.

أما المعارضة بشقيها السياسي والعسكري فهي تمر الآن بأضعف حالاتها، وهي عاجزة عن إسقاط النظام عسكريًا، وفي الوقت نفسه لا تستطيع الوصول إلى تسوية سياسية تحقق من خلالها بعضًا من أهدافها الأساسية.

الولايات المتحدة الأمريكية من جهتها تحصر اهتماماتها بالشأن السوري حاليًا في موضوعين، هما: الحرب على الإرهاب المتمثل في تنظيم "داعش"، و"النصرة"، وغيرهما من التنظيمات "المتشددة"، والوضع الإنساني، ولكن طالما كانت الحرب السورية تضمن استنزافًا متزايدًا ومتسارعًا لإيران وروسيا، فهي غير مستعجلة على إنهائها.

وهنا يأتي دور روسيا التي أطلقت مؤخرًا سلسلة من التحركات واللقاءات والتصريحات التي يمكن أن تشي بحدوث نوع من التغير في موقفها من الأزمة السورية،

فهل حقًا وقع التغير؟ وما هي طبيعته؟
في الحقيقة قد لا يخرج التغير ''المفترض'' للموقف الروسي عن أحد أمرين:
الأول: قد لا يكون الأمر سوى مناورة جديدة بالتنسيق مع حليفتها إيران (وهذا هو المرجح لدينا)، لمساعدة النظام السوري على امتلاك زمام المبادرة في مواجهة المعارضة، التي لا يؤهلها وضعها الداخلي وتوازن القوى الميداني الراهن للخروج بأي مكسب حقيقي من أي مبادرة سياسية مقترحة، فيما سيساهم على الأغلب في إدخالها في دوامة مفاوضات عبثية بإضعاف موقفها وزيادة تمزقه، في مقابل تجديد قوة النظام وإعادة تأهيله، وبذا يسقط أحد أضلاع مثلث الاستعصاء السوري الحالي (النظام–المعارضة–الإرهاب)، فتنحصر المنافسة بين الثنائي المتبقي (النظام–الإرهاب)، ما سيقطع الطريق أمام الولايات المتحدة المعارضة ''شكليًا'' لبقاء النظام، والتي ستجد نفسها ملزمة بتفويضه لمحاربة التطرف.
أما الثاني: فقد يكون وصول القيادة الروسية إلى قناعة أن النظام السوري قد بلغ أقصى ما يمكن عسكريًا، وأن الحسم غير ممكن؛ ولذا يتعين اللجوء لوسيلة أخرى لضمان بقائه، عبر حل سياسي متفق عليه مع إيران، ومن وراءها حليفتها ''الواقعية'' الولايات المتحدة، وطالما أن إيران المفوضة أمريكيًا وصاحبة اليد العليا في سوريا لا تستطيع اجتراح مبادرات سياسية مقبولة، بسبب حساسية وضعها الداخلي والإقليمي وولوغها في دماء شعوب المنطقة، ما يمنع قبول دورها كوسيط من قبل المعارضة وبعض الدول الإقليمية (تركيا، السعودية)، كان على روسيا التقدم بتلك الأطروحة القديمة/الجديدة، على أمل الحفاظ على مصالحها، وزيادة حضورها النسبي في سوريا على حساب إيران، بتأمين النظام مع أو من دون ''بشار الأسد''، ومحاولة جمع السوريين على أولوية محاربة ''الإرهاب''، وبذا تصيد موسكو عدة عصافير بحجرٍ واحدٍ.

والآن، هل ستنجح روسيا في مساعيها تلك؟
يبدو من شبه المؤكد أنها لن تفعل؛ فالأرضية غير متوفرة بعد للحل السياسي، النظام السوري لن يتنازل، وإيران لن تقبل إن هو فعل، أما المعارضة فهي تصر على رحيل ''الأسد''، والولايات المتحدة لا تريد مواجهة إيران، أما الدول الإقليمية فهي لا تزال مقيدة وعاجزة، وفي الميدان تستمر ''النصرة'' و''داعش'' بالتقدم.
لذلك، يبدو أن على السوريين الانتظار مجددًا، حتى يهتم أحدٌ ما بالوصول إلى نهايةٍ حقيقيةٍ لمأساتهم.

خطورة إعادة إنتاج الاستبداد باسم الثورة
لا وصاية على الشعب الثائر

نبيل شبيب

جوهر اندلاع الثورة الشعبية في سورية هو التخلص من الوصاية الاستبدادية على الإرادة الشعبية، فباستثناء سنوات معدودة لم ينقطع منذ عشرات السنين حديث كل متسلط يصل إلى السلطة بقوة السلاح، أنه يعبر عن الشعب ويحكم باسمه، ويطلق على كل من يعارضه وصف "عدو الشعب" ليتخلص منه.
ومنذ اندلاع الثورة لم ينقطع ظهور أفراد أو تجمعات تقول حول "مستقبل السلطة" إن الشعب يريد كذا وكذا، ويرفض كذا وكذا، فانشغلت بذلك وتحولت في ساحات المواجهة الدامية وصنع البطولات الثورية.. إلى "ثورات صغيرة متعددة متباينة" وجميع ذلك قبل الوصول إلى هدف تمكين الشعب من أن يقول ما يريد بنفسه بشأن السلطة القادمة المنبثقة عن ثورته، المعبرة عن إرادته.
لا حق لأي طرف مهما كان شأنه، وأيا كان اتجاهه، أن يمارس مثل هذه الوصاية على الشعب الثائر، وبقدر ما نقول برفض أي حل سياسي أجنبي ينطوي على "إعادة إنتاج" النظام بعد احتراقه واهتراء بقايا قوة تسلّطه، بقدر ما يجب أن نرفض أيضا "إعادة إنتاج" جوهر الاستبداد الذي كانت "الوصاية" تجسده، أي أن نكرر ما صنعه الاستبداد بفرض وصاية على الإرادة الشعبية.
الثائر الذي يتحرك من قلب صفوف الشعب الثائر، ويرتبط به أولا، ويلتزم بما يريد ثانيا، ويخضع لإرادته ثالثا.. هو الثائر الذي يمكن أن يساهم مع سواه من أمثاله في إعداد الطريق لتحقيق التغيير المطلوب عبر الثورة وما كان فيها من تضحيات وبطولات وما شهدته من معاناة وإنجازات. وكل من يتخذ موقفا يزعم فيه الآن المعرفة

مسبقا، وكأنه يعلم الغيب، بما يريده الشعب بعد انتصار الثورة، وينصب نفسه في موقع الوكيل عن الشعب في رسم معالم مستقبله، لا يتصرف -إلا نادرا- دون وجود تأثير خارجي عليه، سواء عبر التمويل أو التسليح أو الفكر والتوجيه، فهو لا يحقق بذلك أهداف الثورة "الشعبية" بل أهدافه الذاتية أو أهداف من يتلاقى معهم من قوى خارجية تؤثر عليه.

إن تحقيق "انتصارات" في المواجهة المسلحة، أو انتصارات في المواجهة غير المسلحة، لا يعطي من يحقق تلك الانتصارات حق التقرير مسبقا بمصير شعب سورية الثائر، فالثائر لا يخوض المواجهة باسمه الشخصي، أو باسم اتجاه يتبناه شخصيا، وهو لا يملك الثورة ومسارها، إنما يحظى في هذه الحياة الدنيا بمكانة متميزة، ويستحق التأييد والمديح والتقدير، لأنه على استعداد لبذل ما يستطيع من أجل تنفيذ إرادة الشعب الثائر على الاستبداد والفساد والطغيان. ولكن يبقى الشعب الثائر هو مصدر هذا التوكيل، وهو صاحب الكلمة النهائية من قبل ومن بعد في تقرير مصيره، ومن ذلك اختيار من يتولى السلطة في بلده، وكيف يتولاها بعد انتصار ثورته.

ومن الخطورة بمكان أن يقول بعضنا إن في يده مثل هذا التوكيل لأنه يتبنى توجها إسلاميا، أو لديه معرفة فقهية، أو وصل إلى مرتبة الاجتهاد.. فجميع ذلك يتناقض مع الإسلام الذي أغلق الأبواب من البداية في وجه من يتحرك على طريق شبيهة بطريق ما عرف بالإملاءات العقدية في حقبة استبداد كنسي سابقة.

إن الانتساب إلى الإسلام عقيدة، أو علما وفقها، أو دعوة وإرشادا، أو عملا وجهادا.. جميع ذلك مشروط بشروط الإسلام نفسه، وليس بشروط اجتهاد أي طرف من الأطراف ما يتناقض مع أصوله ومقاصده، ولا يوجد في الإسلام ما يبيح لأحد أن يمارس الظلم، ومن أخطر أشكال الظلم أن أنصب نفسي وصيا على إرادتك التي ميزك الله بها عن سائر المخلوقات، أو أن أزعم لنفسي مكانة أتجاوز فيها ما تقتضيه الكلمة المعبرة للإمام مالك: كل يؤخذ منه ويترك إلا صاحب هذا القبر، أو أن أعتبر اجتهادي الشخصي هو الإسلام، بدلا من اعتباره "أحد" الاجتهادات، القابلة للخطأ والصواب، ناهيك عن أن أدعي لنفسي الحق في أن "أرغمك" على أمر من الأمور وكأنني لم أقرأ قوله تعالى ﴿لا إكراه في الدين﴾ و﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ و﴿ما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ و ﴿فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾. لقد بلغ مسار الثورة الشعبية في سورية مرحلة حاسمة، وكثير من الدلائل يشير إلى أن تحقيق هدفها "الأول" وهو سقوط بقايا النظام لم يعد بعيدا، ولا يجوز لأحد يعمل في صفوف الثورة، أن يساهم في تعطيل بلوغ هدفها الشعبي الثوري التالي، عبر محاولة فرض أي تصور مسبق على الشعب، صاحب الحق الأول والأصيل في أن يختار ما يريد، لا سيما إذا جمع بين هذا الوجه من وجوه ممارسة الظلم، ووجه آخر أشد خطورة وهو توظيف ما قد يملك من "قوة مسلحة أو قوة سياسية أو قوة علاقات خارجية" لفرض ما يريد على سواه، فهو يزرع آنذاك بذور استبداد جديد، وبذور ثورة شعبية تالية على استبداده.

قراءات في الفكر والسياسة (١)

سعر النفط

هذه الأداة هي احدى أخطر الأدوات التي تملكها الولايات المتحدة في التأثير لصالح سياستها الخارجية. و هي سلاح ذو حدين, كما أنها ذات أثار متناقضة , ثم انها ممكن أن توقع بين الحلفاء وتجمع بين مصالح الأعداء. لذلك فانها تحكمها الاولويات في السياسة الخارجية الأمريكية. لقد شنت أمريكا الحرب على العراق بسبب النفط أي احتكاره والتحكم بامداداته عالميا. وارتفاع السعر كثيرا أو هبوطه كثيرا لا يمكن أن يدوم طويلا أو أكثر من الحاجة اليه.

فمثلا هبوط سعر النفط يؤثر سلبا على روسيا والنرويج وحتى بريطانيا لكنه يفيد الصين و اليابان والهند كثيرا. ونحن نعلم ان الخطر الاقتصادي الأكبر للولايات المتحدة هي الصين وتخفيض سعر النفط يفيدها كثيرا ويجعلها أكثر قدرة على منافسة الولايات المتحدة بشكل تصعب السيطرة عليه.

اذكر في أواخر التسعينيات أن ادارة كلينتون رفعت سعر النفط الى مستويات عالية وقتها وذلك من أجل دعم روسيا في حربها على الشيشان. اليوم سعر النفط يهبط كثيرا وأعتقد أنه من أجل التأثير على روسيا لكن ليس بسبب سورية كما يعتقد البعض. بل أعتقد أن هناك خطط كبيرة تجاه روسيا. الملف السوري برمته في البيت الأبيض منذ الوحدة مع مصر والعلاقات السورية الروسية كانت من أجل ابقاء النظام حيا وقويا بما يخدم النظام الدولي ومصالحه في منطقتنا. وحتى لا يقع النظام أما خطر الاسلاميين. أما وقد وقع النظام في خطر السقوط أمام الاسلاميين بعد ثورة آذار ٢٠١١ فليس هناك أمام المجتمع الدولي خيرا من روسيا لمؤازرته.

صدى الحرية | العدد 92 | الجمعة 26 | كانون الأول | 2014

أنا... النافية للضمير

الضجيج كان يعم تلك المدينة حتى ساعاتٍ متأخرةٍ من الليل كأنها معزوفةٌ موسيقية لموزارت، أو ربما بيتهوفن... الأضواء لا تنطفئ... الأصوات تعلو في السماء... حتى حركة الشباب المراهق والفتيات... ذكرياتٌ جميلة... لا بأس من بعض الألم... لكنه يومها لم يكن ليصل حدّ الموت، أو درجة تحولها لمدينةٍ مسكونةٍ بالأشباح والخوف...

كنت أتأمل الشارع من نافذتي... العتمة تخفي خطوة آخر طفلٍ أنتهى تواً من اللعب... أراد أن يستمر، لكن صوتاً نسائياً بعيداً أجبره على الدخول، كما أن رفاقه تركوه... ربما لأن العتمة لها رهبتها... ربما لأنه حان وقت هجوعهم للنوم... بل قطعاً لأنهم ملوا لعبة "العسكر"... ملوا سماعها على المحطات الفضائية... ملوا حتى من معايشتها لحظةً بلحظة...

سرحتُ بعيداً ... تذكرت أصوات القهقهات من الكبار والصغار، اليوم تخفيها أناتهم.

ما الفائدة من استحضار الذكريات سوى استدراج الألم إلى حضن سلتك المليئة بالهموم أصلاً؟، اجترار ليس إلا...!!

انطفأت الشمعة واكتفيت بهذا القدر من "الاجترار"، وخلدتُ للنوم في سريري متعباً، من اللا عمل الذي أمارسه صباح مساء، فاليوم كان يبدأ في الفراش، وينتهي فيه.... ما بينهما مجرد مشاوير وبعض الثرثرة والانتقاد لما كان وما حصل، جميعهم مثلي، كُسالى...!! أعياهم الكسل، وللموت قوةٌ تضطرهم لتجنب الحديث عن عملٍ يناصر الثورة، أو حتى يعاديها... إنه الموت، ذاك المجهول الذي أخاف الطغاة، كيف لا نخشاه؟!

في الظهيرة يتحتم أن أعود إلى المنزل، لأكمل حالة اليأس التي أعيشها وأفرغها في حقيبة زوجتي التي لم تعد تحتمل وتطيق الشكوى... في طريق العودة، لا بد من لحظة تأملٍ يائسةٍ هي الأخرى، ما أفظع تلك الصورة، وذاك التغير الذي أصاب المدينة، بل إنك لتستغرب من الفروق بين حركة الشارع بين ساعات الظهيرة إلى قبيل العشاء... بدأت المحلات تغلق أبوابها...

الموظفون أو من بقي بمقدوره النزول إلى عمله في "الشام" بدؤوا بالعودة... ما الفائدة من كفاحهم على الحواجز منذ الفجر وحتى الغروب؟! أليس جديراً بنا انتظار الموت في بيوتنا، أو على قارعة العودة من زيارة قريبٍ أو صديق؟! فجأةً يهجع الناس إلى بيوتهم ووحده صوت القصف يكسر السكون، القذائف على مناطق بعيدة اعتادها الناس وبات وسيلةً للتندر إن لم يسمع في أوقاتٍ بعينها... صوت الرصاص في بعض الأحيان يبدأ منذ الساعة الحادية عشر ليلاً، ما أظرفه قناص الحي المؤيد للنظام، يبدو منتشياً من كؤوس الخمرة التي تجرعها حدّ الثمالة، فقادته لذته للفرح بهذه الطريقة... سمعت من يقول: "إنه الخوف وفقد الثقة بما بعد الموت من الخلود في الجنة يخفيه هذا "الشبيح" وراء صوت الرصاص الذي يرعب به المدنيين ويستفزهم".

ما شأني...؟ لا أملك إلا انتظار الموت، وبعض الذكريات عن هذه المدينة... هي أساساً ليست مسقط رأسي، هكذا تقول خانة الهوية... فليذهب الكل إلى الجحيم، ولتعد الحياة كما كانت. الحياة... أية حياةٍ كنا نعيش...؟!، سمه ذلاً... قهراً... أو أي شيء تريد.

الغريب في نظري هو التناقض بين حركة الناس صباحاً ومساءً، إنه يعطي صورةً للوحةٍ منتظمة الألوان والأطياف... لا مكان هنا لرؤية آثار الدمار التي خلفتها الآلة العسكرية التي مرّت هنا قبل سنوات... العين ألفت منظر الأرصفة المشوهة والحفر التي هي من أثر القذائف وبعض البيوتات المحترقة أو تلك التي بلا واجهة، كلها صار في الذاكرة جرحاً...

أخرجت المفتاح لأفتح باب المنزل... وكأن به يفتح ذاكرتي على صورةٍ تشع بالأمل للمرة الأولى... بعض الفتيات الصغار على ما يبدو من المرحلة الابتدائية ورغم عتمة منازلهن لكن إرادة البقاء والحياة دفعت بهن لوضع مقاعد خشبية خارج البناء و جلسن يدرسن على ضوء شعاع أنسل خلسةً ليهوي على وريقاتهن... ليس انقطاع الكهرباء الطويل هو الذي دفعهن

للخـــــروج، إنهـــا قـــوةٌ بــــداخلهن أبــــدينها حــــين ســــألت إحـــداهن.
دورة الحياة مستمرةٌ إذاً... اعتقد أن الموت أوجد قوةً دافعةً لدى الجيل الجديد للتمسك بحقه وفهم ما سوف يناط به ذات يوم، على عكس كثيرين من المستسلمين الانهزاميين، الذين إن درسوا فلتحصيل الشهادة العلمية والفرار، وشتان ما بين جواب تلك الصغيرة التي قالت لي: ((بدي صير مهندسة لحتى عمر بيتي يلي قصفو الأســــد))، ومــــا بــــين مــــا انتــــابني مــــن يأس.
تجولت بلا خوف في تلك الليلة في أغلب شوارع ((...))، قليلةٌ هي المحلات التي فتحت أبوابها، كثيرةٌ هي العيون التي نامت على الظلمة والظلم واحتضنت الواقع المر، أما في الصباح فالحديث عن ضياع الدخل وضيق الحال.... فقرٌ وشكوى... لا أمل... ولا عمل... ثرثرة لا طائل منها... وقلوبٌ مثقلة بالهموم والحقد والأســـى...
أين "أنا" مما يحصل... هل بقيت إنسانيتي على حالها... معرفتي وثقتي بأن الظالم هو الذي أطلق الرصاصة الأولى على "التظاهرات" مؤكدة... "أنا" ما دور "الأنا"، يبدو أن دورها سلبيٌّ بكل تأكيد، فأنا، أبقتني سجين اليأس بدل أن تطلق لروحي العنان.

عودوا إلى الله

تحيط بنا المنـــايا بكل صـــــــوب — وتســـحقنا الهمـــوم بكــــل صـــوب
ونقتـــل بعضنا بعضـــــــاً لنبقى — بهـــذا الحـــرب أســـياد الحـــروب
نمـــزق صفنا مــــــن أجل دنيا — نســـينا بأنهـــا دار الكـــروب
ونعلـــم إن تنازعــــــنا فشلنا — وتهـــوي الـــريح أدراج الغـــروب
فإن تغـــريك نفسك بالخطـــــايا — فأدبهـــا وقـــل يا نفـــس تـــوبي
وطلق هـذه الدنيـــــا ثلاثاً — أمـــا آن الأوان بأن تصـــيبي
أنبحر بالـفواحـــــــش والمعاصي — ونجهـــر بالفســـاد وبالعيـــوب
ونرجو مـن إلـــــــه الكون نصراً — كأنه ليـــــــس عـــلام الغيوب
فعودوا إلـيه كي نحــــــظى بنصر — فإن الله غفـــــــار الـذنوب

كاريكاتير العدد